

إسهام العلماء المجاورين المغاربة في الحركة العلمية بالحرمين الشريفين خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين

The contribution of the Maghrebi neighboring scholars in
scientific movement in the Two Holy Mosques during the eighth and
ninth centuries AH.

مصطفى حاج قويدر*

جامعة الجزائر 1 (الجزائر)، m-hadjkouider@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2023 /02/26 تاريخ القبول: 2023 /03/28 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أحد الجوانب العلمية المهمة التي اضطلع بها العلماء المغاربة المجاورون بالحرمين الشريفين، وأثرهم العلمي البارز في مختلف فنون العلم، أخذا وعطاء، تلقينا وإجازة، تأليفا وتدريسا، وحضورا في حلقات العلم ومناظرات العلماء.

وقد قام البحث على المنهج التاريخي الانتقائي لسير نماذج من الأعلام المغاربة، الذين جاوروا بأحد الحرمين (مكة المكرمة أو المدينة المنورة) خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وبيان إسهامهم في الحركة العلمية بالحجاز خلال تلك الفترة، وذلك من خلال استقراء كتب تراجم الرجال، وتواريخ الحرمين، والرحلات الحجية، وكتب الفهارس والأثبات والإجازات.

الكلمات المفتاحية: العلماء المجاورون؛ المغاربة؛ الحركة العلمية؛ الحرمين الشريفين.

Abstract:

This research paper aims to focus on one of the important scientific aspects that the Maghrebis neighboring scholars of the Two Holy Mosques paid attention to, and their prominent 'scientific impact on the various arts of science, giving and receiving, receiving and permitting, authoring and teaching, attending science seminars and scholarly debates.

The research based on the historical method by choosing biographies of examples of Maghrébins scholars who lived in one of the Two Holy Mosques (Makkah Al-Mukarramah or Al-Madinah Al-Munawwarah) during the seventh and eighth centuries AH, and showed their contribution to the scientific movement in Hijaz during that period, through extrapolation of biographies , histories of the Two Holy Mosques, pilgrimage trips, index books, proofs, and vacations.

Keywords: Neighboring Scholars; Maghrébins; Scientific movement; The Two Holy Mosques .

مقدمة:

شهد القرنان الثامن والتاسع الهجريان حركة علمية دؤوبة، ونشاطا فكريا ملحوظا، مس العالم الإسلامي كله من شرقه إلى غربه على طول امتداده الواسع من المغرب والأندلس إلى أقاصي شرق آسيا؛ حيث نبغ فيه عدد كبير من العلماء المبرزين في مختلف الفنون والعلوم، ساهموا في إرساء دعائم النهضة العلمية بمختلف حواضر الإسلام، كما كان لهم الدور البارز في عملية التواصل والتلاقح الفكري فيما بين هاته العواصم الثقافية في مختلف الأقطار الإسلامية المترابطة، من خلال الرحلات العلمية المتبادلة بسبب يسر حركة الانتقال والسفر في عالم مفتوح تشده أواصر الدين واللغة والثقافة.

ونظرا لطبيعة موضوع الملتقى التاريخية، وترامي أطراف البحث الواسعة، وقع اختيار الباحث على دراسة جزئية علمية دقيقة ذات صلة وثيقة بموضوع الملتقى، اختار لها عنوان:

(إسهام العلماء المجاورين المغاربة في الحركة العلمية بالحرمين الشريفين خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين)

انطلاقاً من الإشكاليات البحثية الآتية:

ما مدى مساهمة العلماء المغاربة المجاورون في الحياة الفكرية والعلمية بالحرمين الشريفين؟
ماهي أهم العلوم التي برعوا فيها وأجادوها؟؟ وما هي المناصب والوظائف العلمية التي شغلوها
أثناء فترة مجاورتهم؟

ولعل اختيار الباحث لهذا الموضوع الجزئي يرجع إلى الأسباب التالية:

أولاً: إبراز الأثر العلمي للعلماء الوافدين من بلدان المغرب، والذين جاؤوا بالحرمين الشريفين وانقطعوا هناك للعلم والعبادة، ممن حفظت كتب الرحلات والتراجم، القليل من أخبارهم وتراجمهم وضاع الكثير منهم.

ثانياً: الرغبة الشديدة في دراسة جوانب الحركة العلمية التي شهدتها الحجاز عموماً، والحرمان الشريفان خصوصاً، والتبرك بذكر طائفة من أسماء العلماء والصالحين والقضاء والمحدثين.

ثالثاً: إذا كان المغاربة قد عرفوا باهتباهم وشوقهم وولعهم وشغفهم الشديد بمكة المشرفة والمدينة المنورة، حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن الباحث قد أحب أن يشاركهم بعض توقعهم لتلك البقاع بالحديث عن أخبارها وذكر علمائها وأعلامها.

رابعاً: يعتبر القرن الثامن والتاسع الهجريين قد شهد قلقاً وهزات في المجال السياسي، فإنه بالمقابل شهد حركة علمية بارزة تجلت في انتشار المدارس وخزائن الكتب والمراكز العلمية والمؤلفات الموسوعية والجوامع في كافة الفنون، وأعملت الرحلة في طلب العلوم الشرعية والكونية إلى المشارق والمغرب، خلاف ما يسوق له المستشرقون، ومن شايعهم من اعتبار هذا العصر عصر الركود والجمود العلمي.

هذا وقد قام البحث على المنهج التحليلي التاريخي القائم أساساً على جمع المعلومات وتفسير الأحداث وتحليلها؛ ثم الاستنباط والاستنتاج؛ وذلك من خلال انتقاء سير نماذج من الأعلام المغاربة، الذين جاوروا أو استقروا بأحد الحرمين الشريفين (مكة المكرمة أو المدينة المنورة) خلال القرنين السابع والثامن الهجريين؛ ثم استنباط ما يمكن أن يبين عن مدى إسهامهم في إذكاء الحركة العلمية بالحجاز خلال تلك الفترة، واستنتاج الدور البارز الذي كان لهم في مدّ أواصر الترابط و التواصل الحضاري والثقافي بين العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الإسلام؛ اعتماداً على استقراء جملة من المصادر الأصلية ككتب التراجم وسير الرجال، وتواريخ الحرمين، والرحلات الحجية، وكتب الفهارس والأثبات والإجازات؛ إضافة إلى استعانة الباحث بعدد من الدراسات الأكاديمية الحديثة التي اعتنت بتاريخ الحجاز وأعلامه، وأرخت للحركة العلمية والثقافية بها.

هذا وقد كان للبحث حدود ثلاث:

- 1- الحدود الزمانية: مسح البحث الفترة الزمانية الممتدة عبر القرنين الثامن والتاسع الهجريين.
- 2- الحدود المكانية: اختص البحث بدراسة الحركة العلمية في خصوص الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة).
- 3- الحدود الموضوعية: دراسة مساهمات العلماء المغاربة المجاورين في الحركة العلمية بالحرمين الشريفين.

أما عن هيكل البحث فقد جاء على الشكل التالي:

مقدمة

المبحث الأول: مفهوم المجاورة وحكمها ودوافعها، ومكانة الحرمين الشريفين عند المغاربة

المبحث الثاني: الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرنين 8 و 9 الهجريين

المبحث الثالث: المجاورون المغاربة في الحرمين وأثرهم على الحياة العلمية بمهما

خاتمة ؛ ثم مسرد بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في بحثه..

1. المبحث الأول: مفهوم المجاورة، حكمها ودوافعها، ومكانة الحرمين الشريفين عند

المغاربة

1.1 المطلب الأول: مفهوم المجاورة، حكمها ودوافعها

معنى المجاورة: المجاورة الاعتكاف في المسجد... والمجاورة: الجار، وهو الذي يجاورك، فتقول: جاورته مجاورة وجواراً وجواراً، والكسر أفصح¹.

المجاور يعني البقاء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، حيث يباشر المجاور حياته اليومية العادية دون مانع وينتهي بخروجه من هاتين المدينتين أو الوفاة، كما أن المجاورة لم تكن محددة الزمن والمدة، فمن المجاورين من كان يبقى في أحد الحرمين مدة قصيرة ثم يعود لبلده، ومنهم من فضل البقاء والعيش فيها حتى وفاته، ومنهم من خلف بيوتا وعقبا بقي بعده طويلا؛ كما تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من المجاورون قد انخرطوا في الحياة الاجتماعية لأهل الحجاز فتبوؤا خططا ومناصب وأعمال مدة مجاورتهم، مثل الإمامة والأذان والتدريس والإقراء وتأديب الصبيان، ومنهم من تولى منصب القضاء والفتوى²، فضلا عن أعمال السقاية والتفريش وغيرها من الوظائف.

حكم المجاورة: اختلف العلماء في حكم المجاورة بأحد الحرمين بين الاستحباب والكراهة مع اتفاق الجميع على عدم وجوبها³؛ فقد استحبابها المالكية والشافعية، لفعل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فقد نزل بمكة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نفر منهم جابر بن عبد الله وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وخلائق لا يحصون من سلف الأمة وخلفها ممن يقتدى بهم⁴؛ وكرهها أبو حنيفة، وفهم ذلك ابن رشد المالكي من كلام وقع لمالك رحمه الله.⁵

أما عن أسباب ودوافع المجاورة في الحرمين فهي تتنوع عموما بين دوافع سياسية وأخرى اقتصادية، زيادة على الدافع الديني الذي سبق بيانه، وعليه يمكن أن نجمل أبرزها فيما يلي⁶:

✓ الحروب التي شهدتها العالم الإسلامي كالحروب الصليبية واجتياح المغول والتتار، وسقوط المدن الإسلامية بالأندلس وغيرها، مما دفع بالعلماء لمغادرة تلك المدن طلباً للأمن .

✓ النشاط الاقتصادي بالحرمين الشريفين العائد إلى ازدهار التجارة بسبب الموقع الجغرافي المتميز، وتوافد الحجاج والمعتمرين من أقطار العالم؛ إضافة إلى كثرة الصدقات والهبات والأوقاف التي كانت تصل الحرمين من الملوك والسلاطين وأغنياء العالم الإسلامي.

✓ الحركة العلمية المزدهرة بالحرمين الشريفين بسبب انتشار المدارس والمكتبات والأربطة وحلق العلم والتدريس.

2.1 المطلب الثاني: مكانة الحرمين الشريفين في قلوب المغاربة

يحتل الحرمان الشريفان (المكي والمدني) منزلة جليلة في نفوس المغاربة خصوصاً والمسلمين عموماً، نظراً لقدسية المكانين في القلوب، وجلالتهما في النفوس؛ فمكة المكرمة —شرفها الله— أم القرى والأمصار، ومهوى أفئدة الأنام، وهي مهبط الوحي، ومنزل القرآن، ومظهر الإيمان والإسلام، بل لو لم يكن فيها غير بيت الله الحرام، لكفاها ذلك شرفاً وعزاً؛ قال الله تعالى في حقه : " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٍ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا⁷ "؛ وفيها التَّعَبُّدُ بِأَدَاءِ الرِّكْنِ الْخَامِسِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

أما المدينة المنورة فإنَّها مَأْرَزُ الْإِيمَانِ، ومثوى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وهي كذلك مهاجرة ومستقره ومضجعه، وفيها مسجده وروضته وقبره الشريف... وليس هذا فحسب بل ازدادت المدينة شرفاً بورود عدد كبير من الأحاديث النبوية الدالة على فضلها، والرغبة في سكنائها والموت بها، والمحذرة من إيذاء أهلها، وإحداث حدث بها؛ وهي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا

لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدّها بمثلي ما دعا إبراهيم لأهل مكة" متفق عليه

ونظراً للمكانة الرفيعة للحرمين الشريفين اهتبل المغاربة بالرحلة إلى الحج وزيارة المشاعر المقدسة، وتعلقت قلوبهم بتلك الأماكن المباركة، رغم بعد الشقة، وعوائق الطريق، طول المسافة جداً بين المغرب والمشرق، زيادة على محن السفر ومتاعبه ومخاطره، فهي — كما قال أبو الحسن القلصادي (ت 891هـ) عما واجهه في رحلته للحج — "مشقات عظام، تحار في وصفها المحابر والأقلام، حتى وقع من كل لأمر الله الاستسلام، وصار الإنسان ينادي بلسان الحال: أنا الغريق فما خوفي من البلبل"⁸؛ ومع ذلك لم تستطع هذه المسافات والعوائق والمخاطر أن تحول دون توجه الأندلسيين والمغاربة للحج وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والمجاورة والسكنى بأحد الحرمين الشريفين؛ فما إن يصل أحدهم هذه الديار حتى يتلقاها "مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة، ولا كابد محنة ولا نصبا"⁹؛ لهذا ومع هذا كله كثرت رحلات المغاربة إلى تلك البقاع، حتى "أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا عَلام الغيوب الشديد الخال"¹⁰؛ "فالحجاز منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقْتَصَرُوا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك، فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيره"¹¹ — كما يقول ابن خلدون رحمه الله —؛ فالمغاربة عبر التاريخ يعتبرون الشرق مصدر المعرفة الإسلامية¹²، والواحد منهم يشرف بين بني قومه حين يرحل إلى المشرق ويروي عن علمائه¹³.

2. المبحث الثاني: الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرنين 8 و 9 الهجريين

1.2 المطلب الأول: مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الحرمين الشريفين

بسط السلاطين المماليك نفوذهم على الحجاز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، واستتب لهم الأمن فيها بولاء من حُكَّامها الأشراف¹⁴؛ وبذلك شهد الحجاز — نسبياً — استقراراً سياسياً، وازدهاراً عمرانياً، ساهم في إنعاش الحياة العلمية بمكة والمدينة، وسرع في عجلة الحركة الفكرية بمها؛

ولعل مرد ذلك عائد إلى الاهتمام البالغ من المماليك المتعاقبين على الدولة الإسلامية عموماً بالعلم والعلماء، حتى أن بعضهم كان على قدر كبير من العلم والمعرفة والفضل، وتصدر بعضهم للإقراء والتدريس، مثل الظاهر بيبرس (ت 676هـ)¹⁵؛ كما كان للسلطان قايتباي (ت 901هـ) عناية فائقة بالحجاز، فأنشأ آثاراً عظيمة، ما بين مدارس وجوامع، ومساجد، ومكاتب، ودياراً بمكة والمدينة¹⁶.

وقد قام السلاطين المماليك أيضاً بتوفير الأمن والأمان للحجاج والوافدين على الحرمين الشريفين، ودفع صولة الأعراب وقطاع الطرق الذين كانوا يعتدون على طريق ركب الحاج وينهبون قوافلهم¹⁷، زيادة على توفير سبل الراحة بمكة المكرمة لأهلها وللحجاج والمجاورين والوافدين عليها، وإنشاء المرافق العامة على طريق الحج، تمثلت أساساً في القضاء على مشكلة ندرة المياه بمكة المكرمة وذلك بحفر الآبار، وإجراء عيون الماء، وبناء السقايات على سبيل الحاج¹⁸؛ مما أنعش الحركة العلمية، ويسر توافد العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي إلى تلكم البقاع المباركة.

ولم تكن المدينة المنورة بأقل حظاً من مكة المكرمة حيث شهدت المدينة أيام المماليك إنشاء عدداً من المدارس والأربطة والزوايا والمستشفيات كما رمم المسجد النبوي عدة مرات وبنيت فيه لأول مرة القباب وجدد كلياً في عهد السلطان الأشرف قايتباي إثر حريق ضخم شب به سنة 886هـ، كما كانت بعثات الحج تحمل سنوياً إلى أهل المدينة الأموال والأرزاق¹⁹.

ولعل ما ميز الحركة العلمية والفكرية بالحرمين الشريفين والحجاز عموماً هو تنوع العلوم المتداولة آنذاك، فزيادة على شيوع تدريس العلوم النقلية من قرآن وحديث وفقه وتصوف ونحو وصرف وبلاغة وتاريخ ونحوه، نجد كثيراً من العلوم العقلية كالحساب والجبر والطب والفلك وغيرها²⁰ حاضرة في حلقات الدرس المعرفي؛ كما أننا نلاحظ أن الانفتاح على تدريس المذاهب الإسلامية المعتمدة كان سمة حضارية علمية أصيلة في بيئة مكة المكرمة والمدينة المنورة العلميتين، مما وسع الأفق العلمي لعلماء الحرمين فتجد العالم يفتي في المذهبين والثلاث والأربع، ولا يضيق ذرعاً أن يأخذ العلم، أو يستجيز من يخالف مذهبه الفقهي.

بيد أنه يجدر بنا الإشارة إلى الدور الريادي للأوقاف بالحرمين الشريفين، وأثرها البارز في النهضة العلمية بالحجاز وغيره، بما وفّره من أموال عظيمة وموارد نفعية شجعت على طلب العلم، والتزود من معين العلماء، ووفرت فرصاً متكافئة لطالبيه من الأغنياء والفقراء وأبناء السبيل والغرباء؛ فتعددت الحلقات العلمية داخل المسجد النبوي والمسجد الحرام، ورتب لها المدرسون والمفتون من أهل البلد أو من المجاورين؛ وزاد عدد المدارس والأربطة والمكتبات؛ مما جعلها تستقطب أعداداً مهمة من الطلبة وكبار العلماء والفقهاء والمحدثين من كل أقطار الأرض؛ فالحاصل إذن أن الحركة العلمية بالحرمين الشريفين مدينة إلى نظام الوقف الذي وفر لها الإمكانات المادية، والظروف المناسبة، مما جعلها تزدهر وتتألق وتؤتي ثمرها المنشود²¹.

2.2 المطلب الثاني: المؤسسات العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرنين 8 و9 هـ

تعدّ مكة المكرمة والمدينة المنورة أهم المدن العلمية والثقافية بالحجاز، بل وفي كل الأقطار الإسلامية؛ حيث كان -ولازال- لهما دور هام جداً في تنشيط وازدهار الحركة العلمية، ونشر الثقافة الإسلامية إلى بقاع الأرض كلها، حيث كان التعليم منتشرًا بكل مستوياته في مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال القرنين 8 و 9 هـ بفضل انتشار مختلف المؤسسات التعليمية، بحيث أدت كل من المساجد والمدارس والكتاتيب والأربطة دوراً هاماً فيه باعتبار أن هذه الأماكن مثلت منبعاً يؤخذ منه العلم الصحيح، ويتلقّى فيه الدين الشرعي.

أولاً: المسجد النبوي والمسجد الحرام

يعدّ المسجد النبوي والمسجد الحرام أبرز المراكز العلمية بالحجاز عموماً؛ حيث كان لهما الدور البارز في التاريخ الإسلامي تقام فيه الشعائر ويقرأ فيه القرآن ويدرس فيه العلم وتُعقد فيه الندوات والحلقات والمناظرات، فالمسجد النبوي أول مؤسسة دينية انبثقت منها النهضة العلمية الإسلامية منذ عهد النبوة، بل ثبت الخضر منه صلى الله عليه وسلم بالأجر الجزيل والمرتبة العالية فيمن جاء مسجده الشريف معلماً أو متعلماً فهو كالمجاهد في سبيل الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من جاء مسجدي هذا - يعني: مسجد المدينة - لم يأت إلا لخير يعلمه أو يتعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله..." الحديث²²؛ أما في المسجد الحرام

فقد كان طلبة الفقه يلتفون على أئمة المذاهب في المقامات الأربع للتعلّم والصلاة،²³ كل حسب مذهبه، ومشرّبه؛ مما ساعد على تقدّم الحركة العلمية بالحرمين الشريفين.

ثانيا: الحلقات العلمية

ثمّيل الحلقات العلمية أبرز مظاهر النشاط العلمي في الحرمين الشريفين، لارتباطها بالمسجد غالبا عبر العصور الإسلامية، فالحرم المكي كان حافلا بحلقات العلماء والمدرسين وطلبة العلم، ذكر ذلك ابن جبير (ت 614هـ) في رحلته حيث قال: "والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم..²⁴ وفي المدينة المنورة يصف ابن فرحون الحرم الشريف وما يدور فيه من حركة علمية بقوله "كان للحرم الشريف أئمة عظيمة ومنظر بهي، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصت بالمشايخ"²⁵، وأشار الرحالة ابن بطوطة الذي زار المدينة سنة 727هـ أن للناس حلقا في المسجد النبوي ليلا يؤقد فيها الشمع الكثير.²⁶

ومن المفيد ذكره أن حلقات العلم لم تكن تقتصر على الدرس فقط، بل كانت ميدانا لمناظرات العلماء، وتبادل الإجازات بين العلماء المجاورين والوافدين على الحرمين الشريفين في موسم الحج؛ وكانت هذه المجالس تحظى باحتفاء كبير من الأمراء والولاة والأكابر فيوزعون الهبات والعطايا على طلبة العلم والحاضرين، يقول السخاوي: "وكان لبعض ختوم ذلك أوقات حافلة، وأما بالمدينة فحتم في يوم جمعة بالروضة النبوية: البخاري ومسند الشافعي ودلائل النبوة والقول البديع وغيرها، ولم يتخلف عنه كبير أحد، وأنشدت قصائد مبتكرة لغير واحد ذكرتها في محلها، وخلع الخواجا الشمسي ابن الزمن على القراء والمادحين، جوزي خيرا ونرجو القبول والمغفرة"²⁷.

ثالثا: المدارس النظامية

يعدّ إنشاء المدارس متأخرا عن ظهور الكتاتيب وحلقات التدريس بالحرمين الشريفين، فلم تظهر المدارس النظامية بالحرمين إلا في الربع الأخير من القرن السادس الهجري²⁸؛ ففي الحرم المكي -مثلا- بلغت المدارس المحيطة بالمسجد الحرام نحو 11 مدرسة²⁹، تقوم بدورها التربوي ووظائفها في مجال تعليم مختلف العلوم والمعارف، فقد تنوعت مقرراتها بين العلوم الشرعية وغيرها

من العلوم العقلية كالمنطق والحساب والفلك³⁰؛ وكان لها مدرسون موقوفون على التدريس تجرى عليهم الرواتب اللازمة لإعمارها بالتدريس، أو رعاية مصالحها، وإيجاد أدواتها المختلفة³¹؛ ولعل من أشهر مدارس مكة المكرمة في القرن 9هـ المدرسة البنجالية التي أقامها سلطان بنجاله بالهند سنة 814هـ وكانت مدرسة جامعة تدرس الفقه على المذاهب الأربعة³²؛ مدرسة السلطان قايتباي المملوكي، فقد كانت تحتوي على (72) خلوة ودرسة بنيت بالرخام الملون، وعلى 4 مدرسين على المذاهب الأربعة و40 طالبا وخزانة كتب، و 40 صبيا من الأيتام؛ وقد أوقف على المدرسة عدة ربوع ودور في مكة كما وقف عليها بمصر قرى وضياعا كثيرة³³.

خامسا: الأربطة أو الرباطات

تعتبر الأربطة والزوايا من المؤسسات الخيرية التي ارتبطت بوظيفة التدريس بالحرمين الشريفين³⁴، حيث لم تكن مجرد مكان لإقامة المجاورين المجانية، وإيواء الفقراء والمساكين الذي انقطعت بهم السبل، بل كانت نزلا للعلماء والفقهاء والمتصوفة والنسك والزهاد، وكان بهذه الأربطة مدارس لتدريس الفقه والأدب، ومكتبات تُوقَف عليها الكتب، وتُجرى على نازليها الجرايات والصدقات، كما كانت أيضا مجالس للتعليم والفتوى وإسماع الحديث وإقراء الكتب ومنح الإجازات.³⁵

وقد كثرت الأربطة الموقوفة في العصر المملوكي حتى بلغ عددها في مكة وحدها نحو 80 رباطا، ولعل ذلك عائد إلى زيادة عدد الوافدين والمجاورين والمقيمين بالحرم، واتساع الجانب العمراني، وتحسن الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، وتنافس الراغبين في الأجر من الأمراء والأغنياء وأهل الخير وحتى عامة الناس من الرجال والنساء³⁶؛ ومن أطرف شروط الواقفين للأربطة، ما جاء في صك وقف رباط الأخلاطي الذي وقف على النساء الحنفية من المجاورات والقاديات³⁷، ورباط بنت التاج الذي كتب على بابهِ أنه وقَفَ على النساء الصوفيات الأخيار والمجاورات، بل فيه من وقَفَ رباطه على الصوفيات المتدينات الخاليات من الأزواج، الشافعيات المذهب³⁸.

3. المبحث الثالث: المجاورون المغاربة في الحرمين وأثرهم على الحركة العلمية

3. 1 المطلب الأول: المجاورون المغاربة في الحرمين الشريفين خلال القرن 8 و9 هـ

تعددت أجناس العلماء والفقهاء الوافدين على الحجاز من أقطار العالم الإسلامي، والراغبين في المقام والمجاورة بالحرمين الشريفين؛ إلا أن غالب المغاربة الذي ارتحلوا للحجاز، وجاوروا بأحد الحرمين الشريفين، كانوا من العلماء الذين حملهم الشوق إلى المجاورة، ودفعهم الحب للمقام في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان همهم طلب العلم الشرعي أو نشره قربة لله وطلباً لأجره والقيام بحق العلم وإفادة الوافدين على الحرم للحج والزيارة، ولم يكن لهم اشتغال بالدنيا، وجمع المال، وطلب المناصب والجاه، لذا كان لهم دور بارز في تنشيط الحركة العلمية بالحرمين الشريفين.

وقد حفظت لنا كتب التراجم والرحلات أخبار ومآثر جملة من هؤلاء الأعلام المغاربة المبرزين في العلم والتأليف ممن جاور بالحرم المكي أو المدني خلال القرنين 8 و9 هـ نذكر منهم:

العارف بالله الشيخ أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البسكري³⁹ الجزائري، تلميذ الحافظ المحدث عبد الله بن محمد المطري (ت 765هـ)؛ خرج من مسقط رأسه بسكرة قاصداً الحج، ثم استقر بالمدينة المنورة؛ قال عنه ابن فرحون في تاريخه: "فمن أولهم وأولاهم بالذكر ذو الولاية العلية والمقامات السنية، الشيخ الصالح الولي الرباني، أبو محمد عبد الله البسكري، كان في بلاده من أكابرها في النسب، ومن أعيانها في المال والحسب، خرج عن ذلك كله وانقطع إلى الله تعالى ورسوله"⁴⁰ ومن جيد شعره فيها قصيدته الرائقة:

دار الحبيب أحق أن تهواها وتحن من طرب إلى ذكراها

وعلى الجفون متى هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

ومن أعلام المغاربة بالمدينة المنورة في القرن 8 هـ الشيخ إبراهيم بن رجب بن حماد التلمساني⁴¹ (ت 755هـ): حلاه تلميذه صفى الدين الكازروني بـ "شيخنا الإمام العالم العلامة

عمدة النساك وقدوة السلاك إمام المحققين "، وقال السخاوي: " العلامة الرباني الخاشع الناسك ... نزيل المدينة" 42. 43

وفي النصف الثاني من القرن 9هـ حل بالمدينة مجاورا الشيخ أبو عصيدة أحمد بن أحمد المشدالي الزواوي البجائي (ت 865هـ) الذي ارتحل من بلده بجاية بعد سنة 840هـ في طلب العلم إلى تونس ثم مصر، ومنها شد الرحال إلى الحج فمكث هناك 3 أعوام؛ ثم عاد قاصدا بلده إلا أنه لم يتم رحلته إلى بجاية حتى قفل راجعا من تونس قاصدا الحجاز مرة أخرى فجاور بالمدينة المنورة من سنة 856هـ 44 حتى وفاته سنة 865هـ 45.

كان من العلماء المجاورين المغاربة من طاب له الجوار بالحرم المكي كالشيخ النحوي الزاهد أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مومن بن علي الزواوي الغبريني البجائي الملقب بـ (منديل) المالكي، جاور بمكة سنين وسمع بها من الجمال الأسيوطي وغيره، ومات بها سنة سبع وثمانين وسبعمئة 46؛ والشيخ الفقيه أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي أصله من تازة بالمغرب الأقصى، فقد حج وجاور بمكة، وأخذ عن أعلامها؛ كان رحمه الله من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، متضلّع في علوم القرآن، مقدم في علم اللسان، حافظ للحديث، بصير بالفقه وأصوله، ذكر أنه أيام مجاورته إذا قرأ البخاري أو غيره انحشر الناس إليه لحسن قراءته وجودته؛ وصلى الأشفاع هناك في رمضان بالناس لحسن تلاوته وطلاوة حلاوته. توفي تاسع شعبان سنة 866هـ 47.

ولعل من المغاربة من جمع بين الحسينيين فجاور بالحرمين الشريفين: كالشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد العزيز القرشي المخزومي القفصي المولود بقفصة سنة 776هـ، أخذ العلم ببلده ثم ارتحل إلى الحجاز فجاور بمكة متجردا، ثم إلى المدينة المنورة؛ ثم رجع إلى بلده بعد أن أقام بالقاهرة مدة؛ ثم تحول إلى الحجاز بأهله فجاور بمكة سبع سنين، ثم ارتحل عنها إلى القاهرة، ليعود في آخر حياته لمكة ويتوفى بها سنة 842هـ 48.

والعلامة الإمام الشهاب أحمد بن يونس بن سعيد بن عبد الرحمن الحميري القسنطيني المغربي المالكي المشهور بابن يونس، نزيل الحرمين كان عالما بالعربية والحساب والمنطق والطب؛ مشاركاً في علوم التاريخ والفقه والأصليين والمعاني والبيان؛ نشأ بقسنطينة وبها تعلم وأخذ عن مشايخها، ثم ارتحل

إلى الحج فلقى جملة من الشيوخ كشيخ الإسلام ابن حجر والعيني وطائفة، وقد تكررت رحلاته للحج، إلى أن نزل بمكة سنة 864هـ فجاور بها وتزوج وتصدر لإقراء العربية والحساب وغيرها من العلوم العقلية؛ وكذا جاور بالمدينة وأقرأ بها إلى أن وافته المنية بها سنة 878هـ، ودفن بالبقيع رحمه الله.⁴⁹

3. 2 المطلب الثاني: الوظائف العلمية التي تولّاها العلماء المغاربة المجاورون

كان للحرم المدني والمكي موظفون يعرفون باسم أرباب الوظائف أو أرباب الشعائر تضم هذه الفئة من الموظفين أئمة المذاهب الأربعة: الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، وتشتمل الخطباء والفراشين والبوابين وكان منهم قاضي القضاة ونوابه والقضاة الأربعة وأئمة المسجد الحرام والخطباء وفتاح الكعبة والمؤذنون والوقادون والفراشون والمشايخ المدرسون.⁵⁰

وقد ذكر المؤرخون جملة من الأعلام المغاربة المجاورين ممن تبوءوا إمامة المسجد الحرام، واشتغلوا بمهمة التدريس به، من أبرزهم الفقيه الأجل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشهير بخليل إمام المالكية بالحرم، وإمام الموسم في الحج كما حلاه ابن بطوطة في رحلته⁵¹، وذكر أن أهله من بلاد الجريد بإفريقية؛ توفي سنة 760هـ؛ ومنهم كذلك الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عكّاش المكي مولدا ونشأة، المغربي أصلا، الشهير ب(هبيهب)، أخذ الحديث عن ابن سلامة والتقي ابن فهد وغيرهما، استقر شيخ المقرئين بالمحافل بالمسجد الحرام والمعلاة إلى أن توفي بمكة المكرمة سنة 874هـ.⁵²

ومن اشتهر بالتدريس في الحرم المكي الفقيه القاضي مؤرخ مكة وعالمها سليل البيت الفاسي الشهير بمكة المكرمة تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي المالكي الحسني الفاسي (٧٧٥هـ - ٨٣٢هـ)⁵³ بدأ التدريس في الحرم المكي بإذن من الحافظ الزين العراقي سنة 800هـ؛ ومنهم الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله التونسي المعروف بالمرجاني، كان يعمل معيدا بالحرم، وأقام بمكة عدة سنين.

واشتغل بالأذان في المسجد الحرام جملة من المغاربة المجاورين كالشيخ سليمان بن أبي السعود بن عمر المغربي ثم المكي؛ ولي نصف الأذان بمأذنة باب العمرة، وكان ينوب عن الرئيس في الأذان على زمزم والتكبير مع معرفة بالتوقيت، توفي بمكة رحمه الله سنة 859هـ⁵⁴؛ و الشيخ محمد بن عكّاش المغربي (هبيهب) شيخ المقرئين بالمحافل بالمسجد الحرام والمعلاه السالف الذكر، فقد كان فراشا بالمسجد الحرام، ويؤذن على باب العمرة، ويكبر في المغرب في رمضان على زمزم نيابة عن شيخ الحجة⁵⁵.

أما بالحرم المدني درس في أروقة مسجده كثير من علماء المغرب المجاورين في القرن الثامن الهجري منهم الشيخ المقرئ أبو عبد الله محمد بن غصن القصري الأنصاري التونسي المجاور بالمدينة المنورة، حلاه ابن فرحون تلميذه في تاريخه بقوله: " شيخنا الإمام العلامة الأستاذ المقرئ الولي المحقق السري... كان عالم زمانه بالقراءات، مشهورا بالكرامات"⁵⁶؛ كان له مجلس معلوم بالمسجد النبوي بعد صلاة الصبح من كل جمعة، يحضر مجلسه خلق كثير من المجاورين والخدام والرجال والنساء والصبيان⁵⁷؛ توفي رحمه الله بالقدس الشريف سنة 723هـ؛ وفي القرن التاسع اشتهر الشيخ أبو عصيد البجائي (ت 865هـ) بخلقته العامرة في الروضة المشرفة بين المنبر والضريح الشريف، التي كان يجلس بها مستقبلا الحجرة مستندا على المحراب النبوي وحوله خلق كثير من الطلاب والعلماء خاصة في رمضان، وكان يدرس الحديث ويشرح صحيح مسلم⁵⁸. هذا فضلا عن مجالسه الأخرى في صحيح الإمام البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض وغيرها.

كما اشتغل كثير من العلماء المغاربة حال مجاورتهم في الحرمين مؤدبين للصبيان، وشيوخ كتاتيب تحفيظ القرآن لأولاد المجاورين وأهل الحرم؛ نذكر من أولئك في المدينة المنورة:

الشيخ محمد بن عبد الله السبتي المغربي (ت 720هـ) ، ذكر أن بكتابه أكثر من مائة متعلّم، ربّهم على شكل مجموعات، حسب المستوى العقلي والعمرى، وجعل على كل مجموعة عريفا؛ وقد قرأ على يديه ابن فرحون وقال عنه: كان من قدماء المجاورين، وله على أبناء المجاورين بل وأهل المدينة يد طولى ومنة عظيمة في تعليمهم القرآن، إن قلت لم ينبج أحد من الأولاد في زمانه على يد غيره من المعلمين فلست من الكاذبين⁵⁹؛ ومنهم المحدث الفقيه المشارك في كثير من العلوم

محمد بن محمد بن ميمون الجزائري الشهير بابن الفخار، ولد بالجزائر وتعلّم بها ثم انتقل إلى تلمسان فأخذ عن علمائها، ارتحل إلى الحجاز حاجاً وأقام بالمدينة المنورة خمسة أعوام يؤدب الأطفال بها، وبعدها رجع إلى مكة وجاور بها حتى توفي سنة 801هـ⁶⁰. رحمه الله.

أما عن خطة التدريس بالمدارس النظامية في الحرمين الشريفين فإنّها تعدّ من أبرز الوظائف التي قام عليها نشاط المجاورين المغاربة العلمي، حيث اشتغلوا بتعليم فنون شتى، ومارسوا التدريس في مدارس عديدة منها:

المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة: فقد تولى التدريس بها الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المدني التونسي المالكي رحمه الله، خلفا لوالده سنة 723هـ⁶¹؛ وكانت له ولوالده جهود عظيمة في نشر المذهب المالكي بالمدينة المنورة بعد ضموره سنين عديدة؛ وممن أقام بها كذلك الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن حريث القرشي البلنسي ثم السبتي، خطيب جامع سبتة بالمغرب ثلاثين سنة؛ قدم الحجاز وأقام مترددا بين مكة والمدينة 9 سنين، كان يروي الموطأ ويحدّث به في الروضة المشرفة⁶².

المدرسة البنجالية بمكة المكرمة: وقد توالى على تدريس المذهب المالكي بها من المغاربة في القرن التاسع الهجري أعلام البيت الفاسي بمكة المكرمة وهم⁶³: الشيخ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد الفاسي (ت 832هـ) حيث درس للمالكية؛ و الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف الفاسي (ت 898هـ)؛ ووالده الشيخ سراج الدين عبد اللطيف بن أحمد الفاسي (ت 853هـ) قاضي الحنابلة بالحرمين معاً، قيل أنه ولي التدريس بالمدرسة البنجالية بمكة أول ما أنشئت.

وإذا كانت خطة القضاء من أهم المناصب التي كانت توكل للعلماء، ولا يتبوؤها إلا الأكفاء الفطاحل منهم، نظرا لعظم خطرها وجسامة مسؤوليتها؛ فإن من أشهر من تولى خطة القضاء من المغاربة بالمدينة المنورة الإمام الفقيه أبو محمد ابن فرحون (ت 769هـ)، "كان من الأئمة الأعلام، ومصاييح الهدى، عالما بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه"⁶⁴؛ وقد ناب في قضاء المدينة نحو من 24 سنة وكان عليه مدار أمور الناس بها، وبهيمته وسياسته أزال الله تعالى أحكام الطائفة

الإمامية من المدينة، فعزلت قضائهم، وانكسرت شوكتهم، وخمدت نارهم... فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة وعلو أمرهم، وكم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة وإخماد البدعة، نفعه الله بنيته وتغمده برحمته⁶⁵.

3.3 المطلب الثالث: أثر المجاورين المغاربة في الحياة العلمية بالحرمين

كان من أهم نتائج المجاورة بالحرمين الشريفين في القرن 8 و9 الهجريين انتشار مجالس إسماع الحديث الشريف، وإقراء فنون العلم والأدب، وأفشي ظاهرة تبادل الإجازات العلمية بها؛ فكان العالم إذا جاور يلتف حوله العلماء والمحدثون وطلبة العلم بغية السماع والإفادة والإجازة وقد كان من أبرز النماذج مثلاً:

مجالس الشيخ المحدث الراوية المسند أبو عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي (ت 749هـ) الأندلسي أصلاً التونسي مولداً وموطناً؛ جال البلاد الشرقية والمغربية واستكثر من الرواية ونقّب عن المشايخ، وقيد الكثير حتى أصبح جماعة المغرب ورواية الوقت، قال عنه ابن فرحون في الديباج: "رحل إلى الحجاز مرتين، وجاور بالحرمين وحدث بهما وسمع وأسمع"⁶⁶؛ ومن هؤلاء أيضاً الفقيه المالكي المبرز أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803هـ) حلاه ابن فرحون بقوله "شيخ الشيوخ وبقيّة أهل الرسوخ"، وذكر أنه اجتمع به في حجة سنة 792هـ، وعرض عليه مصنفاته بالمدينة المنورة، وأجاز له جميع مسموعاته ومروياته ومصنفاته⁶⁷.

ومن لقيه السخاوي من المغاربة المجاورين بمكة واستجازه الشيخ المحدث عبد المعطي بن خصيب بن زايد بن جامع الحمدي (نسبة لعرب بالمغرب يقال لهم بنو محمد) التونسي المغربي المالكي، قصد مكة حاجاً سنة 860هـ، وأقام المدينة ثلاث سنين فسمع من علمائها، ثم رجع إلى مكة فلم يخرج منها إلا إلى بيت المقدس ودمشق، واستقر بمكة فحدث بصحيح مسلم وغيره، وأخذ عنه جماعة، كان حياً سنة 899هـ⁶⁸.

كما كان للعلماء المغاربة اهتمام بالغ بالعلوم العقلية على خلاف الغالب في أهل الحرمين من اهتمامهم بالعلوم الشرعية فقط؛ فقد ذكر برهان الدين ابن فرحون (صاحب الديباج) أن والده أبا

الحسن بن فرحون (ت 746هـ) بأنه كان مشاركا في الجدل والمنطق⁶⁹؛ وقال ابن فرحون (صاحب تاريخ المدينة) أنه قرأ الفرائض والحساب على قاضي طنجة الشيخ أبي الغمر السائب بن عبد الله بن السائب الأنصاري الخزرجي الطنجي في مسكنه الذي كان يقرأ فيه العلم، برباط دكالة؛ كما برع شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد الفاسي (ت 819هـ) في الفقه والوثائق والحساب⁷⁰.

ولعل من الآثار الحميدة للعلماء المغاربة المجاورين تنامي ظاهرة نسخ الكتب، وتصنيف المؤلفات، وتحبيسها على طلبة العلم، من ذلك ما أشار إليه المؤرخون في ترجمة الشيخ عبد الواحد الجزولي رحمه الله نزيل رباط دكالة أنه كان " من العلماء الزهاد ... مكباً على نسخ العلم علماً بالحديث والقراءات له كتب كثيرة بخطه أوقفها كلها وفرقها قبل موته بقليل"⁷¹؛ وألف ابن مسدي الغرناطي (ت 663هـ) حال جواره بمكة المكرمة منسكا في الحج بديعا "سماه إعلام الناسك بأعلام المناسك، محور الائتلاف بين الإجماع والاختلاف"⁷²؛ هذا فضلا عن مكتبة آل الفاسي المغاربة الغنية بنفائس الأعلاق والكتب

الخاتمة :

يمكن أن نلخص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث في النقاط الأبرز التالي:

1- تنوعت الأسباب التي دفعت العلماء عموما والمغاربة خصوصا للمجاورة في الحرمين الشريفين ما بين دوافع دينية أهمها قصد الحج وابتغاء مرضاة الله وطاعته بمجاورة بيته وحرم نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم الدافع العلمي، زيادة على الأسباب الاقتصادية والسياسية.

2- أتاح الازدهار العلمي ، والتنوع الفكري الذي شهده علماء الحرم المكي والمدني فرصة التواصل الفكري الاحتكاك العلمي، والثقاف من خلال الحوارات والمسابقات والمناظرات بين العلماء في مختلف الفنون النقلية والعقلية.

3- النزعة العلمية لدى بعض الأشراف حكام مكة والمدينة واهتمام السلاطين المماليك بالعلم والعلماء ورفع العوائق أمام حركة العلماء والسماح للعلماء الوافدين وطلاب العلم بالإقامة في

الحرمين الشريفين كلّها أسباب ساهمت في دفع عجلة الحركة العلمية وازدهار مراكز العلم وحلق الدرس بالحرمين الشريفين.

4- اتضح من خلال البحث الرقي الذي شهده العصر المملوكي علميا وفكريا، بل وحتى اجتماعيا واقتصاديا وعمرانيا، مما يدفع عنه شبهة الانحطاط والتخلف والجمود التي ألصقت به لأغراض مشبوهة.

5- للعلماء المغاربة المجاورين في الحرمين الشريفين أثر بارز في التفاعل الثقافي، والتواصل والتداخل بين مختلف الثقافات التبتانية، والأجناس البشرية المتنوعة، التي شكلت عناصر المجتمع المكي والمدني في القرن 8 و9 هجريين؛ يتجلى مدى التفاعل والتواصل بين المغاربة وغيرهم في المجالس العلمية والمناظرات الفكرية والمساجلات الأدبية، وتبادل الإجازات والمؤلفات العلمية .

6- حفظت لنا كتب التراجم والرجال العامة، وكتب الرحلات الحجية خاصة للرحالة المغاربة تراجم كثير من العلماء المغاربة الذي جاوروا بالحرمين الشريفين، وكانت لهم دور فعال في تنمية الحركة العلمية بالحرمين الشريفين خلال القرن 8 و9 هجريين،

7- أسهم العلماء المغاربة المجاورون في إثراء الحياة العلمية والفكرية، من خلال التفاعل مع علماء الحرمين والوافدين عليها أخذا وسماعا، إقراء وتعلّما، إمامة وتدرّسا، قضاء وفتيا، تأليفا وتصنيفا.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

المراجع:

ابراهيم بن علي بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1426هـ/2005م.

ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، تح: حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ، لبنان، د.ت

أحمد السباعي، تاريخ مكة، دار مكة للطباعة والنشر، (د.ط)، 1399هـ

إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط7، 1985م

أحمد المقرّي أبو العباس، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، بيروت، 1968م.

الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ / 1987م.

حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 1409هـ / 1989م.

خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة والمدينة المنورة، 2005م،

خليل إبراهيم ملاّ خاطر، مختصر فضائل المدينة، منار للنشر والتوزيع، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط4، 1424هـ.

خليل بن إسحاق الجندي، منسك الحج، تح: المجتبى بن المصطفى بن المبارك، مراجعة محمد محمود ولد محمد الأمين، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الامام مالك، موريتانيا، ط1، 1428هـ / 2007م.

عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1966م.

عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي الحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978م.

عبد الرحمن المدريس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-963هـ)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1، 1422هـ / 2001م.

عبد الله المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1420هـ / 2000م.

علي بن محمد القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، تونس، 1987م

طرفة بنت عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1416هـ / 1996م.

محمد بن أحمد تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تح: مصطفى محمد الذهبي، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط2، 1999م.

محمد بن أحمد تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ / 1986م.

محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الانتهاض لحنم الشفا لعياض، تح: عبد اللطيف الجيلالي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ / 2001م

محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة: المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997.

محمد علي فهمي بيومي، الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن 12هـ / 18م، ص، دار القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، العراق، (د.ط)، 1385هـ / 1966م.

يحيى بن شرف النووي ، الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ط2، 1414هـ/ 1994م،

يحيى بكلي، العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017م.

الأطروحات:

آمنة حسين جلال، طرح الحج ومرافقه في العهد المملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407هـ/ 1987م

حسين عبد العزيز شافعي، الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي (دراسة تاريخية حضارية)، إشراف: هشام محمد علي عجيمي، ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416هـ/ 1995م

حسين عبد العزيز شافعي، الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، إشراف: هشام عجيمي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1422هـ/ 2001م

خلود عبد الباقي البدنه، الأسر العلمي في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1425هـ/ 2004م.

سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى بداية سقوط الخلافة العباسية، إشراف: محمد أمين صالح، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1401هـ/ 1981م

المقالات:

ماجد بن عبد الله الحازمي، "الجهود التربوية لعلماء المسجد الحرام في عصر المماليك"، مجلة البحث العلمي في التربية، ع (19)، 2018م، (343-432).

مولاي الحسين الحيان، "الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة : مجاورو المغرب الأقصى نموذجاً"، مجلة الواضحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، المغرب، عدد4، 2006/1427م، (343-378).

الهوامش:

- 1 - الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط 4، 1407هـ / 1987م)، (2/ 617، 618).
- 2 - ينظر: طرفة بنت عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1416هـ / 1996م)، ص 143، 144.
- 3 - ينظر: ابن تيمية، مسألة المراقبة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى، تح: أشرف بن عبد المقصود، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ط 1، 1422هـ / 2002م)، ص 21.
- 4 - ينظر: يحيى بن شرف النووي، الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، دار البشائر الإسلامية، (بيروت: المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ط 2، 1414هـ / 1994م)، ص 403.
- 5 - تقي الدين الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تح: مصطفى محمد الذهبي، مق: أيمن فؤاد سيد، (مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ط 2، 1999م)، (1/ 159). لعله أشار إلى ما ذكره الشيخ خليل في منسكه قال: سئل مالك: أيما أحب إليك المجاورة أو القفول؟ فقال: السنة الحج ثم القفول. ينظر: خليل بن إسحاق الجندي، منسك الحج، تح: المجتبى بن المصطفى بن المبارك، مراجعة محمد محمود ولد محمد الأمين، (موريتانيا: دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الامام مالك، ط 1، 1428هـ / 2007م)، ص 129.
- 6 - ينظر: ماجد بن عبد الله الحازمي، الجهود التربوية لعلماء المسجد الحرام في عصر الماليك، مجلة البحث العلمي في التربية، ع (19)، 2018م، ص 368-369.
- 7 - سورة آل عمران: آية 96.
- 8 - علي بن محمد القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، (تونس: 1987م)، ص 124.
- 9 - ابن بطوطة، (رحلة ابن بطوطة) تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: عبد الهادي التازي، (المغرب: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط 1، 1417هـ / 1997م)، (1/ 368).
- 10 - أبو العباس المقرئ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1968م)، (2/ 5).
- 11 - ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، (القاهرة: لجنة البيان العربي، 1966م)، ص 375.
- 12 - الناجي لمين، رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية، وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، دار الكتاب المغربي، المغرب، (مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط 1، 2015م)، ص 17.

- 13 - ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، (بيروت، لبنان: دار الثقافة، ط7، 1985م)، (1/38).
- 14 - ينظر: المقرئزي، السلوك، (580/1). وتقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد حامد الفقي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ/1986م)، (3/395).
- 15 - خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، (مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، والمدينة المنورة، 2005م)، ص 116. يلاحظ أن الظاهر بيبرس هو أول من أطلق على نفسه لقب خدام الحرمين الشريفين. ينظر: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، (القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1409هـ/1989م)، ص 268.
- 16 - ينظر: عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمودي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م)، ص 206.
- 17 - رصد المقرئزي كثيرا من اعتداءات العربان وإغاراتهم على قوافل الحجيج خلال القرن الثامن الهجري ودور المماليك في صد غاراتهم وتأمين طريق قوافل الحج. ينظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م)، (3/ ص 257، 348).
- 18 - ينظر: آمنة حسين جلال، طرح الحج ومرافقه في العهد المملوكي، رسالة دكتوراه، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1407هـ/1987م)، ص 305.
- 19 - ينظر: عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978م، ص 0.
- 20 - ينظر: المدينة المنورة في العهد المملوكي، ص 247-248.
- 21 - عن دور الأوقاف في الحياة العلمية في العصر المملوكي ينظر: محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص 105-106.
- 22 - رواه أحمد (2/ 350، 418) وصححه الحاكم في المستدرك (1/91). ينظر: مختصر فضائل المدينة، خليل إبراهيم ملاّ خاطر، (دمشق: منار للنشر والتوزيع، بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط4، 1424هـ)، 272.
- 23 - أحمد السباعي، تاريخ مكة، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر، (د.ط)، 1399هـ)، ص 220.
- 24 - محمد بن أحمد ابن جبير، رحلته، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: مكتبة المدرسة، 1399هـ)، ص 77.
- 25 - نصيحة المشاور لابن فرحون نقلا عن: عبد الرحمن المدريس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (648-963هـ)، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1422هـ/2001م)، ص 245.
- 26 - رحلة ابن بطوطة (1/363).
- 27 - ينظر: مخطوط إرشاد الغاوي بل إسعاف الطالب الراوي بترجمة السخاوي، للسخاوي، ل 65/ نقلا عن مقدمة كتاب: الانتهاض لختم الشفا لعياض، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تح: عبد اللطيف الجيلالي، (بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1426هـ/2001م)، ص 15.
- 28 - سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشرف حتى بداية سقوط الخلافة العباسية، إشراف: محمد أمين صالح، رسالة دكتوراه، (مصر: جامعة القاهرة، 1401هـ/1981م)، ص 329.
- 29 - الفاسي، شفاء الغرام، (1/603).

- 30 - ينظر: عمر ابن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تح: عبد الكريم الباز، دكتوراه، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى ، 1405هـ)، (4/ 63-64).
- 31 - محمد علي فهم بيومي، الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن 12هـ/ 18م، (مصر: دار القاهرة، ط1، 2007م)، ص 43.
- 32 - الفاسي، العقد الثمين، (3/ 201).
- 33 - ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، (بغداد، العراق: مطبعة الأزهر، 1385هـ/ 1966م)، ص 18.
- 34 - الفاسي، العقد الثمين، (1/ 280).
- 35 - حسين عبد العزيز شافعي، الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات وحتى نهاية العصر المملوكي (دراسة تاريخية حضارية)، إشراف: هشام محمد علي عجمي، ماجستير، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1416هـ/ 1995م)، ص 291.
- 36 - ينظر: حسين عبد العزيز شافعي، الأريطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، إشراف: هشام عجمي، رسالة دكتوراه، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1422هـ/ 2001م)، ص 2.
- 37 - الفاسي، شفاء الغرام، (1/ 614).
- 38 - ينظر: الفاسي، شفاء الغرام (1/ 616).
- 39 - ينظر: ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)، تح: حسين محمد علي شكري، (بيروت ، لبنان: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، ص 59.
- 40 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص 590.
- 41 - نسبه ابن حجر في الدرر الكامنة و السخاوي في التحفة اللطيفة بالسلماي . وقال هذا الاخير السلماي نسبة إلى سلمان على وزن فعالن وهو منزل بين عين صيد وواقصة والعقبة. ينظر: يحي بكلي، العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي، (الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2017م)، ص 50.
- 42 - عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 2009م)، (1/ 202-204).
- 43 - يلاحظ أن هذا العلم غابت ترجمته عن كل من ترجم لأعلام الجزائر يقول الدكتور يحي بكلي في كتابه الرائق العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي بعد أن ترجم لهذا العلم: "...أننا نستغرب إغفاله من قبل كتب التاريخ الجزائري الشهيرة من أمثال الجيلالي والميلي والبوعبدلي أو كتب التراجم والسير المعروفة كتعريف الخلف للحفناوي أو معجم أعلام الجزائر لنويهض وكتب تراجم علماء تلمسان ككتاب البستان لابن مريم من المتقدمين وكتاب عبد الحق حميش من المتأخرين مثلاً. كما لم يظهر له أثر في الجرد القيم للأستاذ عمار هلال عن العلماء الجزائريين المهاجرين إلى المشرق والحجاز عبر التاريخ،". ينظر: يحي بكلي، العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي، ص 50.
- 44 - ينظر: مقدمة محقق كتاب: رسالة الغريب إلى الحبيب، لأبي عصيدة البجائي، تح: أبو القاسم سعد الله، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م)، ص 25.
- 45 - يحي بكلي، العلماء الجزائريون المدرسون في المسجد النبوي، ص 56-57.

- 46 - عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، 115.
- 47 - مولاي الحسين الحيان، مقال: الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة : مجاورو المغرب الأقصى نموذجاً، مجلة الواضحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، المغرب، عدد4، 2006/1427م، 378-343
- 48 - ينظر: السخاوي، الضوء اللامع(8/ 285)
- 49 - ينظر الضوء اللامع (2/ 244). نفح الطيب 5/ 428.
- 50 - ينظر: ابن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري، (2/ 613).
- 51 - رحلة ابن بطوطة (1/ 388)
- 52 - السخاوي، الضوء اللامع، (9/ 29).
- 53 - ينظر ترجمته بتوسعة في مقدمة محقق كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (1/ 12-14)
- 54 - عبد الله المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، (بيروت: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، طبع دار الغرب الاسلامي، ط1، 1420هـ/ 2000م)، (2/ 905).
- 55 - عبد الله المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، (2/ 995).
- 56 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص 77.
- 57 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص 78.
- 58 - ينظر: رسالة الغريب إلى الحبيب، أبو عصيدة البجائي، تح: أبو القاسم سعد الله، ص 64-65.
- 59 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة ص 163.
- 60 - التجيني بن عيسى، البغية الثمينة فيمن جاور من أعلام الجزائر مكة والمدينة ، (تلمسان، الجزائر: دار كنوز للنشر والتوزيع، ط خاصة، 2013م)، 246-247 .
- 61 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص 80.
- 62 - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة ، ص 77.
- 63 - ينظر: خلود عبد الباقي البدنه، الأسر العلمي في مكة المكرمة وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي ، رسالة ماجستير، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1425هـ/ 2004م)، ص 219.
- 64 - إبراهيم بن علي بن فرحون (799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحدي أبو النور، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط2، 1426هـ/ 2005م)، (1/ 393).
- 65 - ابن فرحون، الديباج المذهب، (1/ 394).
- 66 - الديباج المذهب، ص 311.
- 67 - ينظر: نيل الابتهاج، ص 31
- 68 - ينظر: الضوء اللامع(5/ 79)
- 69 - ابن فرحون، الديباج المذهب في أعيان المذهب، 213-215.

⁷⁰ - الفاسي، العقد الثمين، (3/ 69-70)

⁷¹ - ابن فرحون، تاريخ المدينة المنورة، ص 60-61.

⁷² - ينظر: الفاسي، العقد الثمين، (2/ 403)

